

الأولاد الشواذ وعلاجهم

بقلم ف. أ. موص

ليس العقل والجسم وحدتين مستقلتين بل هما في الحقيقة مظهران لشيء واحد . فإن العمليات الذهنية يرجع أساسها إلى عوامل جثمانية كما هو الحال في عملية الهضم مثلاً ، إذ نعلم أن كفاية الفرد العقلية تعتمد على تركيبه المضموي وخصوصاً على كفاية أعصابه وغدده وأنظمته الدورية . ولبيان قولنا هذا نمثل بما نشاهده من تغير في كفاية الرجل العقلية بعد أن نسقيه كأساً من المواد الكحولية إذ نرى أن كفايته العقلية يطرأ عليها تغير نتيجة تأثير سموم الكحول على جهازه العصبي . ولو أخذنا رجلاً آخر ومنعنا عنه الأوكسجين بضع دقائق نجده يفقد شعوره ويصير مستوى كفايته العقلية في حكم العدم لأن نقص الأوكسجين يمنع العمليات الكيميائية التي تتوقف عليها الحركة العقلية في الدماغ . ولو احكنا إزال ضربه قوية في مكان معين من الدماغ نجد أن الإنسان المضروب ينتقل من عالم الحقيقة إلى عالم « أين أنا ؟ » وذلك لأن الضربة أحدثت خللاً في نظام الخلايا الدماغية . ولو سحبتنا كل المواد اليودية الموجودة في ماء الشرب فإننا نحصل على أفراد مقتهوين كسالى وخالين من كل طموح وحماس ، وذلك لأن نقص مادة اليود يؤثر في الغدة الدرقية ، وإذا تركنا الجراثيم تغزو الجسم الإنساني فقد تتغير الشخصية لا وقتياً فقط بل تكون بصورة دائمة ويرجع سبب ذلك إلى أثر الجراثيم في تركيب أنسجة الجسم

نرى مما ذكرنا أن الحالة العقلية تتوقف بنسبة كبيرة على الحالة الجثمانية . فلو خلقنا في الطفل حالة جثمانية معينة سلك سلوكاً يدل على البهجة والسرور واللطف مع الآخرين ، ولو وضعناه في حالة جثمانية غيرها فإنه يتخذ خطة العبوس والاشمئزاز مما

ينفر الجميع من معاملته أو التقرب منه . فجميع الظواهر العقلية غير الطبيعية ترجع إلى عوامل جثمانية معينة أصبحت مفهومة معروفة كما نعرف أسباب الظواهر الطبيعية الاخرى . وسندشرح كل هذه الأمور على الصفحات التالية ، غير أننا سنبحث أولاً معنى « الحالات الشاذة غير العادية » وثانياً العوامل التي تسبب شذوذ الأفراد وكيفية إصلاح شذوذهم

الفرد الشاذ

نظراً لأنه لم يوجد بعد مقياس معتمد لتحديد الشذوذ وقياسه فإننا نعتمد في ذلك على التقدير الشخصي . فإذا نظرنا إلى الأولاد ولاحظنا سلوكهم وتصرفهم حكمنا عليهم بأنهم إما عاديون أو شواذ تبيناً لمقدار توافقتهم مع ما نكون قد قررنا أنه من الأحوال العادية قبل ذلك . وقد نتخذ من كلمة « عادي » معنى « مرغوب » حسبما ننظر إلى ذلك من وجهتنا الخاصة ، ولكن هذه الخطة في القياس لا تترك غير حالات قليلة مما يوافق عليه الجميع ، وذلك لاختلاف الأهواء ، وتوجد ثلاث طرق يمكن الرجوع إليها لتقدير الحالات العادية أو الطبيعية (١) طريقة التقدير التي يقوم بها الفرد نفسه (٢) طريقة الإحصاءات (٣) الطريقة المادية . وقد ذكرنا هذه الطرق بترتيبها العكسي بالنسبة إلى قيمتها والاعتماد عليها . فالطريقة الأولى غير معتمدة لأن المقياس الذي يستعمل في تقدير الحالة يختلف باختلاف الأفراد . وكلما حاول هؤلاء الأفراد زيادة التدقيق في الحكم لكي يكون التقدير مضبوطاً جاء تقدير كل منهم مختلفاً عن تقدير الآخرين . وتفضل الطريقة الثانية على الأولى بكثير إذ تتضمن هذه الطريقة مقارنة الفرد المعين بأفراد آخرين كما أنها تعطي تقديراً لا بأس به لأنها تصف بالموضوعية وخلوها من العوامل الذاتية . فيمكننا بذلك تقدير الحالة الشاذة بالنسبة لمقدار شذوذها عن المتوسط العادي . أما الطريقة الثالثة فهي أفضل الطرق وأمثلها لتقدير الحالات الشاذة لأنها تعين الاضطرابات الجثمانية ثم تقرر أسبابها وعوامل نشوئها .

الطريقة الزائفة لتعيين الحالات العادة

إن النظام المتبع في هذه الطريقة هو أن يتخذ الفرد نفسه نموذجاً فيحكم بالشذوذ على جميع الصفات التي تختلف عن صفاته ولا تتفق معها. ولهذا السبب نرى أن أغلب المجانين يحكمون على غيرهم بالجنون لأنهم يعتبرون أنفسهم عاديين وخالفين من الشذوذ أصلاً فيقتبسون سلوك الغير بسلوكهم ويعتبرونهم من الشواذ. وبناء على هذه الطريقة نجد أن التقديرات الذاتية للحالات العسادية تختلف باختلاف الذين يقومون بها واختلاف البيئة والمعر وغير ذلك من العوامل. لما زار جايشر بلاد الأقرام عدوه عملاقاً، وما ذهب إلى بلاد العماليق نظروا إليه نظرهم إلى قزم قصير. فاختلاف الأقرام والعماليق في الحكم على جايشر مع أن قائمه لم تتغير في كلا البلدين لأن المقياس الذي قورن به في الحالتين كان مختلفاً (راجع سياحات جايشر لمؤلفه جونانان سوفت). ولقد كان من العادى في العصور الوسطى أن يرى القديسون الرؤيا وأن يتحدوا مع أصوات وهمية، أما اليوم فإن طبيب الأمراض العقلية يعتبر الظواهر التي من هذا النوع من أكبر دلائل الجنون والشذوذ العقلي. نعلم إذاً أن ما يظهر عادياً في عصر قد يعد شاذاً غير عادى في عصر آخر. ومما سبق نرى أن تقدير الحالات العادية يرجع إلى رأى الشخصى للفرد الذى يقوم بالتقدير، كما يتأثر بميول الجماعة التي يعيش معها هذا الفرد.

وهناك طريقة تختلف قليلاً عن الطريقة الذاتية وهي أن نحكم على الحالة بتوافق الفرد مع الهيئة الاجتماعية التي يعيش في وسطها. وتبعاً لهذه الطريقة نرى أن الأفراد الذين يحبهم رفاقهم والذين يتناسب تصرفهم مع تصرف الجماعة يعتبرون من العاديين، في حين يعد الذين يكرههم رفاقهم والذين لا يتفق تصرفهم مع تصرف الجماعة غير عاديين أو شواذ. وإذا كانت هذه الطريقة لها بعض الميزات في تقدير العاديين والشواذ فإن عليها بعض اعتراضات مهمة لأننا نحكم بها على أغلب الرجال العبقرين بأنهم شواذ، ولهذا نجد أن علماء العصور الوسطى الذين اتفق الناس على كراهيتهم وحكموا على أعمالهم بأنها ضارة بالجماعة، دفعوا أرواحهم ثمناً لذلك. ولو

اتخذنا هذا الأساس لتقدير أعمال الأفراد وسلوكهم لكان جميع شهداء العلم والسياسة والدين من الشواذ

الطريقة الاحصائية لتعيين الحالات الشاذة

أغلب الصفات التي تعتبر عوارض للاضطرابات العقلية ما هي إلا حالات متطرفة للميول التي توجد بدرجة معتدلة في الأفراد العاديين . فنجد أن الأغلبية الساحقة من الأفراد يتصفون بالصورة المعتدلة من الصفات التي تشيع في المجموع في حين نجد أن هذه الصفات تظهر في عدد صغير جداً من الأفراد ظهوراً ضئيلاً ، كما أنها تظهر في عدد صغير آخر بصورة متطرفة . وإذا رسمنا صفة من هذه الصفات في منحني بياني للتوزيع الطبيعي وجدنا أن الفرد العادي يقع في وسط المنحني وأن الفرد الشاذ يقع في أحد الطرفين .

ويمكننا التمثيل على هذه الطريقة بالرجوع إلى الكفاية العقلية في الذكاء . فالذكاء العادي هو الذي يدل عليه الرقم ١٠٠ ، ويدل كل اختلاف مقداره ٣٠ رقماً تحت المائة على أن صاحبه فرد شاذ أو غير عادي فيحكم عليه بالضعف العقلي ، ونجد عادة فرداً واحداً من هذا النوع في كل مائة من الأفراد . وكل شذوذ مقداره ٣٠ رقماً فوق المائة يضع صاحبه في مرتبة الذكاء المفرط . ولا نعد مثل هذا الفرد شاذاً لأن الشذوذ في هذا الاتجاه يعد عادة من الأمور المرغوب فيها .

الطريقة الحادية لتعيين الحالات الشاذة

توجد عوامل كثيرة في الاضطرابات العقلية لا يمكن بحثها والكشف عنها ثم رصدها في المنحني البياني للتوزيع الطبيعي إذ نجد هذه العوامل في الحالات الشاذة فقط ولا يظهر لها أثر في الحالات العادية . نجد مثلاً أن جميع الناس ، العاديين منهم والشواذ ، متأثرون تأثراً ما بمفرزات الغدة الدرقية . ونجد أيضاً أن الجميع حاصلون على الذكاء بدرجات متفاوتة ، إلا أن هناك بعض الامور التي لا يصاب بها جميع الناس ، نذكر مثلاً فالج الدماغ (نتيجة مرض الزهري) وإدمان المخدرات

او غير ذلك . ففي هذه الأحوال يجب إجراء الاختبارات لتقدير وجود مثل هذه العوارض وقياس أثرها في الحالة الشاذة . وبعد كل فرد مصاب بزهرى الدماغ أنه في حالة شاذة لأنه يضيع عقله بعد الإصابة وإغارة المرض على جهازه العصبي . وكذلك الحال في تماطى المخدرات فإن أى مقدار منها له أثره في تكييف الحالة الشاذة . ففي جميع هذه الحالات وما يشابهها يجب البحث عن العوامل فإذا وجدت دل ذلك على أن الحالة غير عادية أو شاذة . ويتبين لنا من الحالات المذكورة أن العوامل المؤدية إلى العوارض تأتي من الخارج لا مما يتعلق بوظائف الجسم نفسه ، فإن هذه العوامل تغير على الجسم وتعرقل سيره الطبيعي وتمطل الأعضاء عن أداء وظائفها العادية .

أسباب الحالات الشاذة وعلاجها

التدريب السيئ ، سبب الحالات الشاذة

يجب أن يهتم المدرس بالحالات الشاذة التي تنشأ عن عادات قبيحة بسبب التدريب السيئ لأن مثل هذه الحالات يمكن إصلاحها بالتدريب الحسن . نذكر مثلاً العيوب اللسانية ، والخطأ اللغوي ، والميل المشاغبة ، والمكايده ، والعادات الصبغانية ، واللجوء إلى الثورة العصبية إذا لم ينل الفرد ما يريد . والأفضل عدم وضع مثل هذه الخصال ضمن الحالات الشاذة لأنها لا تخرج عن كونها عادات سيئة ناتجة عن التدريب السيئ ، وفي أغلب الأحيان يكون التدريب الرديء في التربية البيئية

أسباب جهنمية للحالات الشاذة

نشرح في هذا القسم الاضطرابات العقلية الناشئة عن عوامل جهنمية وهي غير العادات السيئة التي ذكرناها . نحن نعلم أنه إذا اعتري احدى الصمامات الكهربائية في السيارة عطب فإنها لن تسير سيراً طبيعياً ، وكذلك الجسم إذا اعتري الغدة الدرقية عطب لم ينتظم سير الآلة البشرية . وكما تمطل الأسلاك الكهربائية المتلامسة نظام الاضاءة كذلك فإن إصابة الدماغ وتعرقل التفكير . وكما أن الماء إذا أضيف الى بنزين

السيارة يقلل من قوة سيرها كذلك الكحول فإنه يفقد العقل قوته المنطقية وتوازنه . وكما أن امتن الآلات تبلى مع الزمن كذلك أذى العقول فإنه يفقد حدته مع تقدم السن . وإذا حاولنا اصلاح شخصياتنا المنحلة وجب علينا أن نبدأ بطريقة نظامية معقولة . وبما أننا نعلم أن الشخصية تتوقف على الآلة الجثمانية وتأديتها لوظائفها فإن الشخصيات الشاذة توجد في الأجسام الشاذة المنمطة عن العمل . وإذا قارنا مثلاً النظام العادي الذي يتبع في اصلاح سيارة معطلة بالنظام الواجب اتباعه في اصلاح النظام العقلي والجهاز العصبي وجدنا تشابهاً بين النظامين . تؤخذ السيارة أولاً الى جراج حيث يبدأ الميكانيكي بالكشف عن جميع أجزائها بنظام تام محاولاً معرفة السبب الذي أدى الى سلوك السيارة الشاذ . ولا يسمح الخبير لنفسه أثناء كشفه على السيارة أن يتأثر بآراء سابقة في الموضوع ، فهو يعمل واثق أنه سيصل الى نتائج مادية مما يمكن تجربته وقياسه . وعلى عكس ذلك يكون الحال مع الخبير الموكول اليه اصلاح الشخصية اذا بدأ العمل وهو متأثر بالآراء السابقة القائلة بأن الشخصية شيء غير متعلق بالجسم وأنها أثرية التكوين ، غامضة التركيب لا يمكن تغييرها أو تحسينها بتحسين العوامل الجسمية . وقد يترجم أيضاً أنه لا يمكن اصلاح الشخصية الا بواسطة الصلوات والرقى والأحجية وغير ذلك من المزامم الباطلة

اضطرابات الغدد الصماء

نبحث الآن بعض الحالات الخاصة في الاضطرابات العقلية الناتجة عن عوامل جثمانية محدودة مما يمكن إصلاحه ونبدأ أولاً ببعض الاضطرابات الغدية .

١ - الغدة الدرقية ذات الإفراز الناقص

يولد بعض الأطفال أحياناً وهم مصابون بداء يعطل نموهم العقلي والجسماني (cretinism) ويرجع سببه إلى نقص طبيعي في إفرازات الغدة الدرقية ، ويولد الطفل في بعض الأحيان بغدة درقية سليمة إلا أن التهاباً قد يصيب الزور فيسبب عطب الغدة الدرقية ومن ثم يعطل نمو الطفل . وقد يعيش المصابون بهذا العطب إلى سن

البلوغ . فيبتغون قصار القامة ومعتوهين أو منحطين عقلياً . ثم إنهم يخلون من الطموح والانفعالات النفسية ولا يهتمون بلذة التحصيل . كما أن مباحج الحياة وأحزانتها لديهم سيان . ولكن إذا غدينا الأفراد المصابين بنقص النمو العقلي والجسماني بخلاصة الغدة الدرقية الحيوانية يبدأ نموهم الجسماني والعقلي ، ويتقدمون في الذكاء ، ويظهرون عوارض الانفعال العادية في البشر . ويستطيع أن يناضل الأولاد الآخريين على أساس أفضل من سابقه . والملاج بسيط جداً ورخيص ومن الإجرام أن نطالب ولداً في غدته الدرقية نقص بأن يصل إلى مستوى الأولاد الذين يتمتعون بغدد درقية عادية ، في حين أن إعطائه حبتين أو ثلاثاً من خلاصة الغدة الدرقية يومياً قد يمكنه من النضال بمجهود أقل . والشذوذ الناتج عن النقص في الغدة الدرقية على درجات متفاوتة لأن الأولاد الذين تظهر فيهم أعراض هذا النقص يتراوح ذكاؤهم بين العته والبلادة العقلية . وكثير من الأولاد الذين يكافحون وهم في حالة نقص التكوين ولا يحصلون على غير الدرجات المتوسطة والضعيفة في أعمالهم المدرسية قد يتمكنون من نيل الدرجات الممتازة والحسنة بنصف الوقت الذي يصرفونه في كفاحهم لو اعتنى بهم العناية الكافية وأعطوا المقدار الذي يحتاجون إليه من خلاصة الغدة الدرقية .

٢ - الغدة الدرقية ذات الإفراز المفرط

في بعض الأحيان قد تنشط الغدة الدرقية فتفرز مقادير تزيد طاقته أو ثلاث طاقات عن المقدار اللازم . فيؤدي ذلك أيضاً إلى حالة غير عادية في الولد فتصير حالته غير هادئة فيكون سريع التأثر ويقلق بالليل ويقل وزنه وتعتريه رعشة في يديه ويظهر الخوف في عينيه . فإذا قطع الجراح جزءاً من غدته الدرقية وقل إفرازها إلى الحد الطبيعي أو إذا أعطى الولد المواد المضادة لعملها مثل المستحضرات اليودية وخلاصة الغدة النخامية تحسنت حالة الولد واكتسب شخصية جذابة ، وأمكنه الانتظام بالمدرسة العادية

٣ - الغدة النخامية

الغدة النخامية إذا لم تؤد وظيفتها كما يجب سببت اضطرابات كالتى تظهر عوارضها في تلاميذ المدارس .

تنشأ حالة مرضية بسبب نقص في إفراز فلقتي الغدة النخامية وتظهر أعراضها في الطفولة ومراحل البلوغ الأولية كما أنها تزيد في الذكور عن الإناث . والطفل المصاب بهذا الداء تظهر عليه عوارض السمنة والانوثة ولا يمكن أن يفهم الناس حالته . فإنه يكتسب نوعاً من الشخصية مما تنمناه الأمهات غير أنهم أيضاً يحترن في فهمه . ومعالجة الإخصائين لهذه الحالات تفيد جداً إذ يمكن إتقاص الشحم وزيادة طول القامة ورفع مستوى الذكاء . ويقتصر العلاج في هذه الحالات على حقن المريض مرتين في في الأسبوع بخلاصة الغدة النخامية المستخلصة من الحيوانات .

وكثيراً ما نشاهد في أولاد المدارس حالات من الضعف العصبي . والعامل الأساسي لهذه الحالة هو نقص القوة ، إذ يلاحظ في المصابين أنهم يتعبون جثماً وعقلياً لأقل مجهود . أما من الجهة العقلية فيلاحظ أن الطفل لا يستطيع تركيز ذهنه مدة طويلة ولا يمكنه أداء أي عمل مجهد على الإطلاق . وعلى ذلك يتخذ خطة اليأس وخيبة الأمل وفقدان الأمل . كما يشاهد عليه فقدان الشهية للأكل وحالة التعب المستمر حتى إن المصاب يستيقظ في الصباح تعباً كأنه لم ينم على الإطلاق . على أن جميع هذه الأحوال يمكن تحسينها بأخذ حقنتين في الأسبوع من خلاصة الفلقة الأمامية من الغدة الدرقية .

٤ — الغدة الشبيهة بالدرقية

إن استعمال إفرازات الغدة الشبيهة بالدرقية لمعالجة أولاد المدارس ما زال أمراً في مستهل أيامه .

ويدل البحث على أن الولد المصاب بعجز في إفرازات الغدة الشبيهة بالدرقية يعاني أعراضاً منها سرعة التأثر كالتي تظهر بسبب إفراط إفرازات الغدة الدرقية ، والتهيج العصبي المتطرف مما يؤدي إلى لعبه برباط الرقبة أو قضم الاظافر واستعداده لا تيان نوبات عصبية . وهو غالباً في حالة الكآبة وعدم الاختلاط الاجتماعي ، غير أنه كثيراً ما يتعاطى . وإذا ما حللنا الدم وجدناه ناقصاً في الكالسيوم . وتعالج هذه الحالة بنجاح بخلاصة الغدة الشبيهة بالدرقية . وبعض المواد العضوية المحتوية على الكالسيوم .

٥ - الغدد الجنسية

يمكن مشاهدة أهمية الغدد الجنسية في تكوين الشخصية بملاحظة حيوانات المزارع. فإذا استؤصلت الغدد الجنسية من الثور فقد طموحه في نضاله وصار هادئاً صبوراً. ونلاحظ أثناء مرحلة البلوغ اضطرابات، كثيرة في أولاد المدارس بسبب إفرازات غير طبيعية ناتجة عن الغدد الجنسية، كما أن الفتاة في دور البلوغ تتأثر وتبكي لأقل سبب إبان فترة الحيض، أو تعاني كثيراً من النشيج وعسر الحيض مما يؤدي إلى ضرورة غيابها يوماً أو أكثر عن المدرسة كل شهر، والأرجح أنها تعاني نقصاً في إفرازات الرحم والمبيض. فلو عملنا على إعطائها خلاصة الغدة المناسبة لأمكن إصلاح حالتها وتحسين عملها المدرسي.

الأمراض المعدية

لقد لاحظ الإنسان منذ قرون بعيدة الاضطرابات العقلية التي تظهر في حالات الهذيان التي ترافق بعض الأمراض المعدية مثل هذيان حمى التيفوئيد. ولا تفرز الجراثيم الساموم التي تزعج العمليات العقلية فقط بل تسبب التهابات في الدماغ وغشائه مما يقتل بعض الخلايا العصبية نفسها

الزهرى

يعطينا الزهرى أفضل الأمثلة في أثر الأمراض العفنة على الحالة العقلية. ومع أن هذه الحالة لا تظهر في الأطفال إلا في حالات الزهرى الوراثي فإنه يمكن بحثها لتبين لنا نقطة مهمة في هذا البحث. تدل الاحصاءات على أن ١٢٪ من مرضى مستشفيات الأمراض العقلية يعانون الجنون الناتج عن السعال الدماغى الناتج عن الزهرى. وقبل كشف سر هذه الحالات ومعرفة أنه مرض الزهرى كان الأطباء يرجعونها إلى الانفعالات النفسية مثل الفشل في العمل والتجارة أو موت الأقارب أو خيبة الأمل في أمور غرامية أو حماس ديني وغير ذلك. وكان العلاج وقتئذ يعتمد على الطرق النفسية مما أدى إلى فشلها التام وتطور حالة المرض من سيء

إلى أسوأ حتى إن المرضى كانوا يموتون بعد أربع أو خمس سنوات . غير أنه منذ نحو ثلاثين سنة ظهر أن الجراثيم التي تسبب الزهري في الجسم هي التي تسبب الشلل الدماغى وقد تبين أن هذه الجراثيم تؤثر في الدماغ بإتلاف المادة الدماغية والأغشية التي تحيط بها . وظهر بعد ذلك أنه يمكن الكشف عن هذا المرض بتحليل بعض السوائل المستخرجة من السمود الفقري . ووجد من نحو خمس عشرة سنة أنه يمكن علاج هذا المرض بمحبي الماريا .

هفوة المراكز الرئيسية

توجد حالات كثيرة في الأطفال مسببة عن فساد في المراكز الرئيسية مثل الاسنان واللوز الحلقية وتجاويف الأنف وغيرها . كما أن بعض اضطرابات الغدد قد يرجع سببها المباشر إلى بعض الحالات العفنة المستعصية . والدم الذي يجرى في الدماغ يمر قبل ذلك في هذه المراكز الفاسدة فينتقل السموم إلى المخ ويحدث الضرر الممهود . كما أننا نجد كثيراً من أمراض الكليتين والقلب والأعصاب يرجع سببها إلى هذا الفساد أيضاً . وإذا وجدنا أن اللوز الفاسدة والأسنان الفاسدة تؤدي إلى التهاب في مفاصل الركب أو في الكبد فلماذا لانفرض أيضاً أنها تحدث اضطراباً مماثلاً في الدماغ أو في أى جزء من الجهاز العصبي ؟ ولذا يحتم معالجة جميع مواطن الفساد وإزالتها خصوصاً في الأطفال الذين يحتاجون إلى العناية الخاصة .

فقر الدم

تتوقف كفاية الانسان العقلية والجثمانية على مقدرة الدم على نقل الاكسجين . ولذا نجد أن الأطفال المصابين بفقر الدم تنقصهم القدرة العملية كما أنهم يتعرضون دائماً للبرد وغيره من الأمراض المعدية فيتغيبون أياماً كثيرة عن المدرسة ويعالج الآن فقر الدم بمخلصة الكبد ويأتى العلاج بنجاح كبير .